من الأشعار العربية

الشعر العربي في حضرموت

للأستاذ أحمد طه السنوسي

البيئة الحضرمية بيئة عربية قحة ، وهذه أول ميزة وأول موجه للشعر الذي يقال فيها وينشده شعراؤها في حيزها ، والميزة الثانية قد نتجت عن الميزة الأولى ، فنحن نجد أن التخاطب في حضرموت بلهجة تقرب من اللهجة المصرية . ونجد في التخاطب الحضرمي أنه يستعمل ألفاظا عربية أصيلة كثيرة مما لا نحس له وجودا في تخاطب البلدان العربية الأخرى ، ومما لا يذكر إلا في المعاجم عادة ، ويرجع ذلك إلى امتداد الصبغة العربية القحة منذ فجر التاريخ الحضرمي إلى اليوم . ولم يستطع التطور الحديث أن يقتحم بقوته فيقضي القضاء كله على النزعة العربية والصبغة العربية الأصيلة في هذا البلد الحضرمي ، وعلى هذا فليس من عجب إذا ما ألفينا الشعر الحضرمي أقرب الأشعار العربية إلى الأشعار القديمة وخاصة الجاهلية ، وتلك ظاهرة لا يجد المرء نصبا في استشفافها والوقوف عليها حين اطلاعه على أشعار الحضارمة ولا يغيب عنا أن شاعرنا الكبير امرأ القيس نشأ في زمنه في هذا القطر وقال شعره فيه ، فبيئة حضرموت إذاً بيئة الشعر منذ أقدم عصوره وبيئة التفنن منذ فجر تاريخه كما أنها بيئة العربية ولهجاتها ومصادرها .

ولا نستطيع أن نقول إن الشعر الحضرمي الحديث قد بلغ شأوا بعيدا وذروة رفيعة من المجد الشعري الحديث على الرغم مما أبداه في عالم اللفظ من جمال وقوة ، وما وصل إليه في عالم الوضوح من الرق والرفعة ؛ وذلك أرجعه إلى علل وأسباب أهمها أنه لا يتأثر إلا قليلا بالثقافة الحديثة ، وأنه يغرق في اللفظ وضخامته وفخامته ثم يذر للنواحي الأخرى بعض الاهتمام ، وهذا البعض يطوح به الأسلوب حينا ويتقاضى عنه الشاعر نفسه أحيانا .

ثم إن هذا الشعر الحضرمي لا يمكن أن يجد فيه العربي خارج حضرموت لذة وجمالا ، وإنما يجد هذه الأشياء الحضرمي في الذي يعيش البيئة الحضرمية فوق أرضها وتحت سمائها ، وهذه البيئة لا يستسيغها بالطبع ذلك العربي خارج حضرموت ، وبالتالي فتأثيرها على الشعر جعل هذا الشعر غير مستساغ في الجو العربي الخارجي . وبالرغم من أن هنالك شعراء تخلصوا من هذا الحيز ومن تلك السيطرة فأمكن لنا ولغيرنا أن نجد في شعرهم لذة وجمالا وأخذنا نقبل عليه بزيدنا شوقا إليه أن فيه الروح العربي الصميم مما لا نكاد نجد له المثيل في الاغراق في الشعر العربي الحديث نظراً لتأثر هذا الأخير بالثقافة الحديثة والتطورات الزمنية والبيئة الموجهة

على أننا نجد أن هنالك في حضرموت ككل بلد عربي شعراً شعبياً يدعى (بالشعر الحميني) وهذا النوع ينتشر في حضرموت ويرتقي ويجد رواجا كبيرا ، غير أنه أيضا قد تأثر إلى حد بعيد بالصبغة العربية القوية للشعر الحضرمي ، فلولا اللهجة وتحريفها وأساليبها لأضحى شعرا حضرميا قحا .

ثم إننا نلحظ شيئا هاما في الشعر الحضرمي وذلك هو الصبغة الصوفية والنزعة الفقهية ، ونحن لو درسنا الشعب الحضرمي وبيئته واتجاهاته نجد أن هذه الصبغة وتلك النزعة متأصلتان فيه ، بارزتان واضحتان في أفكاره ومناحيه ، فلا غرابة أن يبرزها إلى درب الشعر لتجد مسلكا جميلا للبدو والانتشار ، ولا غرابة أن يبديهما في ثوب الشعر لتستطيعا أن تجدا طريقهما إلى التأثير الصحيح والفائدة المطلوبة منهما ، ولكن هناك فارقا هاما بين هذه الصبغة وتلك النزعة في الشعر الحضرمي وبينهما في الشعر العربي القديم ؛ ذلك لأنهما في الشعر الحضرمي لا يزيدان على كونهما غلالة شفيفة تعكس هذا الشعر دون أن تطغى على لباس اللفظ ورداء الشعر وإن طغت في بعض الأحايين على رداء المعنى ؛ وذلك لأن المعنى نفسه ليس في المرتبة الأولى إذا قسناه باللفظ في ذلك الشعر ، فالمعنى لا يهتم به كثيرا سواء أضاعه اللفظ أو غشته غلالة الصوفية وكساه النزعة الفقهية ...

لكننا مع ذلك لا نستطيع أن نغمط الشعر الحضرمي حقه الواضح في بلوغ ذروة عالية حين يحدثنا عن الألم ودواخل النفس وتأثرات الشعور فانه بهذا يجمع إلى جمال الوشي استثارة الشاعر ويضفي على الوصف الدقيق وعلى تصوير الدواخل والدوافع والاحساسات جميل اللفظ وبديع الأسلوب فيأتي بشعر جميل حقا

يقرأه المرء فيجد فيه صدقا واخلاصا فى التصوير وتشويقا فى العرض وجلالا وجمالا فى الادلاء والأبداء .

ويقول الشعر الحضرمى فى كل الأغراض التى قال فيها الشعر القديم ، ويهمه أن يدلف درب ذلك الشعر ويحذو حذوه ، ولا ينسى فى بعض الأحايين أو يشاركه فى الدمن والاطلال والاهتمام بالتحريد وذكر الآلات والأشياء المحيعة من بيئته الحضرمية .

ولدل أهم الأمور التى جعلت الشعر الحضرمى على جلالة قدره ورفعة مرتبته غير معروف وغير مدروس فى عالمنا العربى أن أغلبه لا ينشر ولا يجمع ، فهى البيئة الحضرمية التى تتداوله بالرواية وتعلى عليه المحول فلا يأخذ طريقه للنشر أو طريقه لذيوع ودرس فى الحلقات الخارجية من الجو العربى . وما ينقصه إلا أن يعترف بأهمية القومية العربية الشاملة فى قصائده ويهتم بها أن يقلل من اخلاصه للجاهلية من ناحية وأن يساير ركب المدنية ولا يبخل بالثقافة الجديدة والتطور الجديد أن يلج سدته ويهز سرجه بلجامه إلى الأمام ... وها كم بعض الأمثلة :

قال الشيخ عبد الصمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله باكثير الكندى فى شكوى الحظ العاثر :

أراني إذا ما الليل جاشت كتائبه ... أبيت وقلبي حائر الفكر ذاهبه
أقضيه بالأشجان والهم والأسى ... ودمع على الأرجان يسهل ساكبه
تبيت أفاعى الهم فى غيهب الدجا ... تساور قلبى بالمنا وتواثبه

وقال أيضا :

يا عاذلى دعنى وشأنى إن لى ... قلبا بتير الحب لا يستأنس
كيف السلو عن الأحبة بعد ما ... دارت على من الصبابة أكؤس

ويقول متألما

خذ من قديم حديثي مبتدا سقمى ... وما أقاسى من الأوصاب والألم
فبتدا خبرى فعل اللواحظ من ... عيون خشف رمت سهما أراق دمى
رمى فشك الحشا من نبل مقلته ... بغير شك وقد أوهى قوى همى
فطار يومى وبات الهم يقلقنى ... ومهجتى لظى الأشجان فى ضرم
وخالف النوم أجفانى وحالفها ... طول السهاد فلم أهدأ ولم أنم
محى الغرام سلوى واستباح دمى ... هوى الاغن فسرى غير منكتم
، فى الظلام أنين كلما سجعت ... ورقاق أرقت فوالهفى رواندى

ورق لى كل من بالليل يسمعنى ... فمن لصب عميد باللحاظ رمى

ويقول السيد شيخ بن عبد الله العيدروسى العلوى فى قصيدة رثاء :

تقضى فتمضى حكمها الأقدار ... والصفو تحدث بعده الأكدار
والدهر أبلغ واعظ بفعاله ... وكفى لنا بفعاله انذار

وهو القائل فى توسلية له :

يا من لقب بالصبابة ممتلى ... وأضالع يلظى القطيعة تصطلى
من ذا لما بى كاشف إلاك يا ... من قد مددت له أكف توسلى

ويقول السيد محمد مولى الدويلة العلوى :

الحب حبى والحبيب حبيبى ... والسبق سبقى قبل كل مجيب
نوديت فأجبت المنادى مسرعا ... وغطست فى بحر الهوى وغدى بى
لى تسعة وثلاثة مع تسعة ... والعقد لى وحدى وزاد نصيبى

ويقول محمد بن أحمد بن يحيى بن أبى الحب الخطيب الأنصارى من محادثاته الشعرية :

تجنب أرضك الوبأ الوخيم ... وجانب سوحك السدم السديم

ومنها :

عجاج مياهها فيه شفاء ... إذا عجت على الأرض الغيوم
نسيم جنوبها أبدا صحيح ... وطبع الجو فيها مستقيم
وطبع مياهها فى الصيف برد ... وأيام الشتاء هى الحميم
تعادل حرها والبرد فيها ... فلا برد يضر ولا سموم
وطبع البرد فيها فيه لطف ... بطيب نسيمه تنمو الجسوم

ويقول الأمير محمد بن على الكثيرى :

إن جئت (عينات) فى ثراها ... واستنشق العرفان من رباها
والصق جبينك بالتراب مقبلا ... شكرا لمن أولاك ثم ثراها
بلد أقام بها الكمال وحبذا ... بلد غدا الغوث العظيم حماها
واستقبل الشيخ المعظم خاشما ... فى ذل نفس كى تنال مناها .

ويقول السيد عبد الله الحداد العلوى فى حديث نفسى :

ألا يا نفس ويحك كم توانى ... وكم طول اغترار بالمحال
وكم سهو وكم لهو وهزل ... وكم ميل إلى دار الزوال

وكم شغل بما لا خير فيـه وكم حرص على شرف ومال
وكم تلوين عن محمود فعـــل وكم تقعيس فى قبيح الفعال

وقال أيضا :

أنا مشغول بليـــلى عن جميع الكون جله
فإذا ما قيـل من ذا قل هو الصب الموله
أخذته الراح حتى لم تبق فيـه فضله
راح أنسي راح قدسى ليست الراح المضله

هذه بعض الأمثلة من ذلك الشعر راعينا فى انتقائها تصوير الواقع وتسجيل الوجود علنا نستخلص من ذلك بعد كل هذا أن فى حضر موت شـــعرا عربيا جديرا بالعناية قمينا بالالتفات والاهتمام .

أحمد ط السنوسى

دفاع عن البلاغة

للاستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البـلاغة العربية أجل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة والذوق ، وآلة البلاغة ... الخ

والذوق من فصوله المبتكرة المرو العامية ، الأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا اجرة البريد

المسنـــد

للإمام أحمد بن حنبل

أوسع كتب السنة ، وأكثرها شمولا واحاطة . لا يستغنى عنه العالم المحقق ، ولا الطالب المجتهد . وهو حجة للمحدث ، والفقيه ، والمؤرخ ، وصاحب اللغة . ألفه إمام المحدثين وزعيم أهل السنة وقدوتهم ، وجعله مرجع العلماء وحجتهم ، حتى لقد قال لابنه راوية وهو يوصيه « احتفظ بهذا المسند ، فانه سيكون للناس إماما » .

وهذا (الديوان الاعظم) بحر لا يدرك مداه ، أعجز أكثر العلماء أن يصلوا إلى غوره حتى وفق الله له الشيخ أحمد محمد شاكر المحدث المصرى فصنع له الفهارس الدقيقة المتقنة ، من علمية ولفظية ، وشرحه شرحا فنيا على أوثق القواعد العلمية التى ميز بها الحفاظ صحيح الحديث من ضعيفه ، ليكون مرجعا حقا لكل طالب وعالم .

ثم كان من توفيق الله وحسن صنعه لهذا (الكتاب الحجة أن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، أسد الجزيرة وإمام أهل السنة فى هذا العصر ، الملك الامام (عبد العزيز آل سعود) أطال الله بقاءه ، شمله برعايته السامية الكريمة حبا فى نشره واحيائه ؛ وتقربا إلى الله بعموم النفع به . فأصدر أمره العـــالى بطبعه على خير ما يستطاع من الاخراج والاتقان .

فنفذ الشارح الأمر الملكى المطاع بطبعه فى أجزاء متتالية ، طبعة ممتازة خاصـــة ، وطبعة شعبية عامة ليعم النفع به كل الطبقات .

٨٠ قرشا ثمن الجزء الواحد من الطبعة الممتازة
٣٠ » » » » » الشعبية

ملتزم الطبع والنشر
دار المعـارف بمصر